ولا تنازعوا فتفشلوا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، وزأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وبعد:

= من أهم أسباب انهيار الدول: أولا: التفرق والاختلاف:

فإن من أكبر المصائب التي ابتليت بها هذه الأمة وفتكت في سواعد قواها، وأطاحت برايات مجدها، الاختلاف والتفرق، وصدق الله عز وجل إذ يقول: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ".

أيها المؤمنون: إن من أهم عوامل نهضة أمة من الأمم هو الاتحاد، فبالاتحاد تنال الأمم مجدها، وتصل إلى مبتغاها، وتعيش حياة آمنة مطمئنة، وبالاتحاد، تكون الأمة مرهوبة الجانب، مهيبة الحمى، عزيزة السلطان.

أيها المؤمنون: إن التاريخ يشهد أن من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف عقائدها ومللها التفرق والاختلاف، سقطت الخلافة العباسية بعد أن تفرقت الدول الإسلامية في ذلك الوقت، فنشأت الدولة البويهية، والمماليك، ودويلات الشام، ولم يبق للخلافة العباسية إلا قطع متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم غير أهل بغداد فقط، فأعملوا فيهم القتل حتى قتلوا أكثر من ثمانمائة ألف نسمة، كما قال غير واحد من المؤرخين.

وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت دويلات متفرقة متناحرة، لا همّ لأحدهم سوى التلقب بألقاب الملك والسلطان حتى ولو كان على بقعة لا تجاوز حظيرة خراف.

مما يزهدني في أرض أندلس   أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تمزق جسدها إلى أشلاءَ متناثرة، وبعد أغرى الصليبيون الجدد بعض زعماء المسلمين بالانفصال عنها، وأحسنوا اتقان العمل بقاعدة: فرِّق تسُد، وهاهو العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، وتتجرع ألوان الهوان.

أيها الاخوة: إن ما ظفر به أعداء الأمة من سطو واستيلاء لا يرجع إلى خصائص القوة في أنفسهم بقدر ما يعود إلى آثار الوهن في صفوف أصحاب الحق، فالفرقة تجعل هلاك الأمة بيد أبنائها في سلاسل من الحروب في غير معركة، وانتصارات بغير عدو.

لقد كثر الحديث عن تمزق العراق، وانفصال جنوب السودان، ودويلات في جنوب لبنان، ولم يغمض لأوروبا جفن إلا بعد انقسمت البوسنة والهرسك، وبدأت بتقسيم من اندونيسيا .

وفي المقابل هاهي أوروبا تسعى بكل ما تستطيع لتحقيق أكبر قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لقد سارعوا بعد أن طحنتم حروب ضروس في الحربين العالمية الأولى والثانية، إلى الاستعلاء على الخلافات الشخصية وتناسي أحقاد الماضي، وتجاوز الفوارق العقدية، وصهر حدود الفرقة.

من أكبر المصائب التي ابتليت بها هذه الأمة الاختلاف والتفرق،

وصدق الله عز وجل إذ يقول: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ" [الأنفال:٤٥، ٤٦].

ومن أهم عوامل قومة الأمم الاتحاد، فبالاتحاد تنال الأمم مجدها، وتصل إلى مبتغاها، وتعيش حياة آمنة مطمئنة، وبالاتحاد تكون الأمة مرهوبة الجانب، مهيبة الحمى، عزيزة السلطان.

إن تنمية الوعي بأهمية وحدة المسلمين كما يأمرهم الإسلام هي النقطة الأساس الأولى في سبيل التغلب على الواقع المؤلم الذي أوجده هذا التفرق وأفرزته هذه الإقليمية المقيتة.

لقد نقلت الإقليمية المسلمين من القوة إلى الضعف، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الأخوة إلى العداوة، وولدت بينهم بؤراً بركانية قابلة للانفجار في أي لحظة.

= حكم الوحدة بين المسلمين:

أهم خصائص هذه الأمة أنها أمة واحدة،

قال الله عز وجل: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء:٩٢)
قال الله عز وجل: "وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ" (المؤمنون:٥١)
فلئن المؤمن يستشعر الوحدة والاتحاد بين جميع الأنبياء، فهو يستشعر الوحدة والاتحاد مع جميع العابدين لله تعالى، المتقين له جل وعلا، ولا يكون مؤمنا إلا باستكمال هذه الأوصاف.

ولذلك فإننا نقول: الوحدة بين المسلمين واجبة، بنصوص القرآن والسنة.
لقد تنوعت أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوب الوحدة، فتارة تأمر بالوحدة أمراً صريحاً كما في قول الله عز وجل: "وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (آل عمران:١٠٣)
قال القرطبي رحمه الله: "فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة".
وأخرج الطبري عن عبدالله بن مسعود قال: (حبل الله الجماعة)
في صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ].

وتارة تأمر بتحصيل أمور لا يمكن أن تحصل إلا بالوحدة:
قال الله عز وجل: "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [الحجرات:١٠]،
وقال جل وعلا: "فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ" (الأنفال:١)
وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [لا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ]، رواه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة.
فهذه الأدلة تأمر المسلمين بالأخذ بكل ما يزيد المحبة بينهم، والنهي عن كل ما يولد البغضاء في صفوفهم، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين، فإن الأخوة ضد الفرقة والاختلاف.

ومن أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوب الوحدة بين المسلمين النهي الصريح عن الافتراق والاختلاف الذي هو ضد الوحدة والاجتماع.
قال الله عز وجل: "وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ" (الأنفال:٤٥).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شيء، ولا تنازعوا فتفشلوا، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، يقول: فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم".

أخرج الطبري عن ابن عباس في قول الله تعالى: "وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ ٱلْبَيّنَـٰتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (آل عمران:١٠٥)، قال: في هذا ونحوه من القرآن أمرَ الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.
عن زَكَرِيَّا بْنَ سَلَّامٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: [أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ].
وعن النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [الجماعة رحمة، والفرقة عذاب].

عباد الله،
لقد حذر الله عز وجل هذه الأمة من محنة الفرقة وبين لهم أنها هي السبب المباشر في هلاكها فقال عز وجل: "قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" (الأنعام:٦٥)

ومن أساليب القرآن في الحث على الجماعة ـ وإن كان لا يفيد الوجوب مباشرة ـ أن الله جعل من أخص صفات المؤمنين أنهم أولياء بعض قال الله عز وجل: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة:٧١).

والولاية هي النصرة والمحبة، والإكرام، والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهراً، وباطناً.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [المسلم أخو المسلم].

ومن أساليب الشريعة في الحث على الوحدة بين المسلمين تحذير الشريعة من الشذوذ ومفارقة الجماعة، ففي سنن الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِينَا، ثم ذكر خطبة جاء فيها: [عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ].
وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما من ثلاثة لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية].

ونهت الشريعة أن يهجر المسلم أخاه المسلم، وأمرت بإفشاء المسلمين بينهم، من أجل إشاعة المحبة، وأمرت بصلاة الجماعة ولم تعذر أحداً في التخلف عنها إلا في أشد الظروف، ونهت أن يسافر الرجل وحده، وأن يبيت وحده.
أيها الإخوة، لو ذهبنا نستقصي شواهد الشريعة التي تفيد بمجموعها وآحادها وجوب اجتماع كلمة المسلمين لطال بنا المقام، لكن حسبنا فيما تقدم من إشارات ما يكفي كل طالب حق ألقى السمع وهو شهيد.

أيها المؤمنون، ولولا أن الاتحاد ذو منافع عديدة، وفوائد كثيرة، لم يوجبه الله عز وجل، ولهذا فإن وجوب الوحدة بين المسلمين يستدل عليها بالعقل الصحيح مع النقل الصريح الصحيح.
إن العقلاء من كل ملة ونحلة في القديم والحديث اتفقوا على أن الوحدة سبيل العزة والنصرة، فهذا معن بن زائدة الذي وصفه الذهبي بقوله: أمير العرب أبو الوليد الشيباني أحد أبطال الإسلام وعين الأجواد يوصي أبناءه عند وفاته بقوله:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى   خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   وإذا افترقن تكسرت آحادا

أيها المؤمنون، إن التاريخ يشهد أن من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف عقائدها ومللها التفرق والاختلاف، سقطت الخلافة العباسية بعد أن تفرقت الدول الإسلامية في ذلك الوقت، فنشأت الدولة البويهية، والمماليك، ودويلات الشام، ولم يبق للخلافة العباسية إلا مزع متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم غير أهل بغداد فقط، فأعملوا فيهم القتل حتى قتلوا أكثر من ثمانمائة ألف نسمة، كما قال غير واحد من المؤرخين.

وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت دويلات متفرقة متناحرة، لا همّ لأحدهم سوى التلقب بألقاب الملك والسلطان حتى ولو كان على بقعة لا تجاوز حظيرة خراف.

مما يزهدني في أرض أندلس　　أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها　　كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تمزق جسدها إلى أشلاءَ متناثرة، وبعد أغرى الصليبيون الجدد بعض زعماء المسلمين بالانفصال عنها، وأحسنوا اتقان العمل بقاعدة: فرِّق تسُد، وهاهو العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، وتتجرع ألوان الهوان.

صوت الشعوب من الزئير مجمعا　　فإذا تفرق كان بعض نباح

إن ما ظفر به أعداء الأمة من سطو واستيلاء لا يرجع إلى خصائص القوة في أنفسهم بقدر ما يعود إلى آثار الوهن في صفوف أصحاب الحق، فالفرقة تجعل هلاك الأمة بيد أبنائها في سلاسل من الحروب في غير معركة، وانتصارات بغير عدو.

ألم تر أن جمع القوم يخشى　　وأن حريم واحدهم مباح

إن الغرب النصراني أدرك أن وحدة أي أمة من الأمم سواه خطر عليه،
فأوروبا لم تستطع كتمان حلمها في تفكك الاتحاد السوفيتي الذي يمثل خطراً حضارياً، عسكرياً عليها، فساندت بكل قواها حركات التحرر التي قامت بها دويلاته، حتى استراحت من أحد مصادر القلق الذي كان يؤرق راحتها، وبقي لها عدو آخر هو التحدي الذي يمثله العالم الإسلامي.

إن العالم الإسلامي بتفرقه وتنازعه لا يشكل أي هاجس خوف لأحد، لكن العالم الغربي الصليبي يخشى أن يستيقظ المسلمون من نومهم، فيسارعوا إلى الأخذ بأسباب القوة، والعودة إلى الوحدة.
وتجنباً لذلك فإنه يحاول بكل جهد أن يقضي على كل منفذ يمكن أن يسلكوه، فيعود بهم إلى سابق عزهم وسالف مجدهم.
وصدق الله عز وجل إذ يقول: "إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا" (آل عمران:١٢٠).
قال قتادة: الحسنة هي الألفة والجماعة، والسيئة: الفرقة والاختلاف.

إن الغرب النصراني يعمل جاهداً على تغذية كل سبب يغذي الفرقة بين المسلمين، ويكرس تباعدهم، ويزيد من تناحرهم.
لقد كثر الحديث عن دويلة في شمال العراق، ودويلات في جنوب لبنان، ولم يغمض لأوروبا جفن إلا بعد انقسمت البوسنة والهرسك، وبدأت بقع من اندونيسيا بالانفصال، بل إن السودان دولة تآمروا عليها وما زالوا ليقسموها إلى خمس دول: جنوب السودان، وكردفان، دارفور، وشمال السودان، والنوبة بشمال السودان وجنوب مصر، وهكذا، وتأبى أمريكا اتحاد الفصائل الفلسطينية ما بين فتح وحماس وغيرهما.

وفي المقابل ها هي أوروبا تسعى بكل ما تستطيع لتحقيق أكبر قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لقد سارعوا بعد أن طحنتم حروب ضروس في الحربين العالمية الأولى والثانية، إلى الاستعلاء على الخلافات الشخصية وتناسي أحقاد الماضي، وتجاوز الفوارق العقدية، وصهر حدود الفرقة.

أيها المؤمنون، هذه الحقائق عن المصالح التي تؤدي إليها الوحدة، وهذه المفاسد التي تدفعها من أدلة وجوب الوحدة، فالشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل مصالح العباد في الدارين، وتحصيل هذه المصالح يكون بتحقيق أي أمر يجلب المصلحة، ويدفع المفسدة، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.
وعليه فإننا نقول: إن وجوب تحقيق الوحدة بين المسلمين ثابت بنصوص الكتاب والسنة المتضافرة المتآزرة، وهذا الوجوب ثابت أيضاً بالعقل والنظر الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة أو خاصة، مثل قوله: "عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة"، وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم - وان كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته، أو غير ذلك - لكن ليعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام)أهـ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، إنه غفور رحيم.

ثانيا: الانحراف عن منهج الله:

فإنها دولنا أرادت أن تقول للناس أن الدين له أن يحكم شؤون الزواج والطلاق وكذا، ولكن ليس له أن يحكم شؤون الاقتصاد والسياسة، وسنأتي لهذا بأنظمة العصر ونحل بها المشكلات، فماذا كانت النتيجة؟

انحدار في النواحي الاقتصادية، وفي النواحي الأمنية، وفي النواحي السياسية، وإذا ما جاءت حكومة لعنت أختها، واتهمت التي قبلها بأنها لم تكن على نهج سوي، وبأنهم كانوا مزيفين، وبأنهم كانوا سارقين، وبأنهم كانوا كذا، وكذلك كان أعظم شعارات الوطنية أنها توفر الحرية، وأن السلطة الدينية - كما يصورون - فيها نوع من الكبت، والقهر، والتسلط ، وما نرى في أغلب الدول التي تدَّعي مثل هذا إلا كل صور التجبر ووأد الحرِّيات .

لقد كان من اسباب سقوط الدولة العثمانية الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى الذي جلب للأفراد والأمة تعاسة وضنكاً في الدنيا، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله لتبدوا على الحياة في وجهتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وقد أصيبت الشعوب الاسلامية في مراحل الدولة العثمانية الأخيرة بالتبلد وفقد الاحساس بالذات، وضعف ضميرها الروحي، فلا أمر بمعروف تأمر به ولا نهي عن منكر تنهى عنه، وأصابهم ما أصاب بنو اسرائيل عندما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ((لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)).

ثالثا: الكفر والظلم:

فإن هذين إذا اجتمعا قطعاً وجزماً لا يبقي للمتشبث بهما أو المعتمد عليهما قائمة إن طال الزمان أو قصر؛ لأنه كما ذكر العلماء: أن الدولة الكافرة إذا كانت عادلة تدوم أطول أحياناً من الدولة المؤمنة إذا كانت ظالمة؛ لأن العدل أساس الملك والعدل يوفر أحياناً الرضا عند الناس، ويوفر الاطمئنان، ويوفر شيء مما يقوى به الكيان ويستمر ويطول، وعلى العكس من ذلك الظلم، ثم الكفر والإيمان ، لا شك أن له أثرا ، أما إذا اجتمع الكفر والظلم فهي ظلمات بعضها فوق بعض .

ان من سنن الله تعالى المستخرجة من حقائق الدين والتاريخ أنه إذا عُصي الله تعالى ممن يعرفونه سلط الله عليهم من لا يعرفونه؛ ولذلك سلط الله العدو على المسلمين في الاندلس والدولة العثمانية وفلسطين والعراق وغيرها كثير.

إن الذنوب التي يهلك الله بها الدولة، ويعذب بها الأمم قسمان:

١- معاندة الرسل والكفر بما جاؤوا به.

٢-كفر النعم بالبطر والأشر، وغمط الحق واحتقار الناس وظلم الضعفاء ومحباة الأقوياء والإسراف في الفسق والفجور، والغرور بالغني والثروة فهذا كله من الكفر بنعمة الله، واستعمالها في غير مايرضيه من نفع الناس والعدل العام.

رابعا: ترك الجهاد والضعف:

يقول الإرهابي الكبير مناحيم بيجن : إننا نحارب، إذاً نحن موجودون، فالعالم لا يحترم الضعفاء! وهذا كلام واضح، فالعالم لا يحترم الضعفاء، العالم لا يحترم إلا الأقوياء، هذه هي عقيدة الغرب، ومخدوع من ظن أن الغرب لا يكيل بمكيالين، بل إنه مكيال واحد، إنه مكيال العداء في كل وقت وحين.

قال العرب قولة في حرب العاشر من رمضان، فحولت تلك الكلمة موازين المعركة، وذلك يوم أن اتخذ العرب قرار منع البترول، فانقلبت الموازين وتحولت الدفة تماماً، فالمسلمون يعلمون يقيناً أنهم لو يتفقون على كلمة فسوف يفزع العالم كله.

أيها الأحبة: لقد شخص النبي صلى الله عليه وسلم الداء في كلمات بسيطة، وحدد لهذا الداء الدواء، فلم يترك النبي صلى الله عليه وسلم الداء والدواء لأي داعية من الدعاة ليحدده على حسب نظرته أو

على حسب هواه، بل حدد الداء في حديثه الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه: ((يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: كلا، ولكنكم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)) هذا هو الداء.

<u>**خامسا: العصبيات القبلية:**</u>

فما على الأمة إلا أن توحد الصف، وأن تنبذ الفرقة والخلاف، وأن تحقق معنى الأخوة، كما قال عز وجل: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات:١٠].

فينبغي أن ترفض الأمة هذه النعرات، وأن تسقط هذه الرايات، وأن تعلي راية الإسلام وراية الأخوة، وأن تحقق قول الله جل وعلا: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات:١٠] فهذه الأخوة هي التي ساوت بين سلمان الفارسي، وصهيب الرومي ، وأبي ذر الغفاري ، وحمزة القرشي ، ومعاذ الأنصاري، وبلال الحبشي، إنها أخوة الدين وأخوة العقيدة.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

قال الله جل وعلا: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)).

إن درس سقوط الأندلس لا ينبغي أن يغيب عنا ، وقد كانت عناصر السقوط فيه تتشكل من عدة نقاط بارزة:

أولا : الصراع العنصري الجنسي.

ثانيا : ارتفاع رايات متعددة بعيدة عن راية الإسلام الواحدة المتصلة بالنفوس والعقول .

ثالثا : استعانة مسلمي الأندلس بالأعداء ضد بعضهم البعض.

وكل العوامل الأخرى تدور حول هذه النقاط بطريقة أو بأخرى، ولقد دفع مسلمو الأندلس جميعا ثمن أخطائهم، دفع الحكام الثمن حين أذلهم الله وسلبهم ممالكهم ، وهل ننسى أشعار ابن عباد البائسة حين أذله الله على يد المرابطين في " أغمات " بالمغرب الأقصى ؟ وهل ننسى دموع أبي عبد الله - آخر

ملوك غرناطة ــ حين رحلت به سفينة العار مودعة آخر وجود إسلامي في أوربا رحلت به على أنغام الأمواج الهائجة، وكلمات أمه المسكينة تدوي في سمعه :((ابك مثل النساء ملكا لم تحفظه حفظ الرجال)).

ومن اللافت للنظر أن مراحل الهبوط - في التجربة التاريخية لهذه الأمة - قد ارتبطت بأوضاع داخلية، فهذه الأمة لم تضرب من خارجها بقدر ما ضربت من داخلها، بل إن الأعداء الخارجين لم ينفذوا إليها إلا من خلال السوس الذي ينخر فيها من الداخل، بل لقد أفادنا الأعداء بتدخلهم كثيرا، وغالبا ما كان لتدخلهم فضل إيقاظ الضمير الإسلامي، أو إعلان الجهاد العام، أو إظهار " صلاح دين " مما من شأنه أن يجمع المسلمين تحت راية واحدة .

ولقد كبونا كثيرا . . ثم قمنا، ولقد حاربنا العالم كله ذات يوم . . ونجونا . . وانتصرنا . . فقط ثمة شرط واحد : أن نعرف من أين نبدأ ، وإلى أية غاية ننتهي ؟

سادسا: الاستبداد والدكتاتورية:

إن الاستبداد يحطم الدول والشعوب وهو حال الدول العربية والاسلامية اليوم، بحيث لم يعد لهم من الأمر شيء وأصبحت هذه الشعوب نسبة عددية مهيأة تقوم بالموافقة للحكام على كل شيء بنسبة أكثر من٩٩%، وهي تقوم بالتصفيق الحاد لكل خطيب، وتؤيد كل القرارات .

وقد أعلنت هذه الحكومات الحرب على الإسلام وقد نجحت هذه القوى في إبعاد الإسلام عن مجال التأثير تماما، على الأقل في مستوى توجيه الأمور وقيادتها، وقد تمزقت وسائل التوحيد كلها، فلا تكامل اقتصادي ، ولا تكامل اجتماعي، ولا تنسيق سياسي، أو إعلامي، وهلم جرا، وهم يتقاتلون لأتفه الأسباب ، ويقطعون العلاقات بلا مبرر كاف، ويسيرون في طريقهم دون مشورة وتكامل، بل كل حسب مصالحه وتوجيهات سادته ، وقد أصبح العربي لا يأمن على نفسه في أي بلد عربي آخر، بل أصبحت بلاد الغرب هي المثوبة والأمن، كما أن الملجأ والأمن لأموالهم هي بنوك اليهود في أمريكا وأوروبا.

يصوِّر لنا ابن كثير حال الجيش قبل سقوط بغداد فيقول: ((وجيوش بغداد في غاية القلة، ونهاية الذلة،لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش قد صرفوا عن إقطاعاتهم الأجور، والرواتب لا توجد، حتى استعطى كثير منهم في الأسواق، وأبواب المساجد، وأنشد الشعراء القصائد يرثون لحالهم ويحزنون على الإسلام وأهله)) .

هذا حال الجيش الذي كان في ذلك الوقت صورة متكررة، لماذا ؟ لأن الخليفة لم يكن متفرغاً لتقوية الأمة ولا لإعداد الجيش، ولا لتحقيق قول الله جل وعلا : { وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة } .

أيها المؤمنون: علينا مع كل هذا أن لا نصاب بالاحباط واليأس، ولنعلم جميعًا وليعلم العالم كله أن النصر لنا مهما طالت الهزيمة، وأن الفجر آت مهما امتد الظلام، وعلينا أن نعرف أن الايام دول وأن العاقبة للمتقين، ((وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)).

قال تعالى: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).
قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في مفردات ألفاظ القرآن الكريم:

- نزع: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، ويستعمل ذلك في الأعراض ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب .
- والتنازع والمنازعة: المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة، قال تعالى (فان تنازعتم في شيء)، وقال: (فتنازعوا أمرهم بينهم).

وتذهب ريحكم: تتلاشى قوتكم أو دولتكم .

ومن فقه هذه الآية:
هذه الآية من الآيات المهمة في حياة المسلمين فبعد أن أمرهم الله سبحانه وتعالى بالثبات عند لقاء العدو (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)؛ أمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله , ويندرج تحت هذه الطاعة في حال موت رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثال أوامره وطاعة إمام المسلمين، فالطاعة واجبة إلا في المعصية ثم يدل الله سبحانه وتعالى المسلمين على طريق عزتهم وكرامتهم وصون دولتهم فيعلمهم فقه الوحدة والألفة وينهاهم عن الشقاق والنزاع المؤدي إلى زوال عزتهم ودولتهم (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).

أمثال من التاريخ الإسلامي:

كل مأساة سياسية واقتصادية وحربية في حياة المسلمين يقف خلفها التنازع والفشل والبعد عن منهج الله في الوحدة .

- فأول فتنه وشقاق ونزاع حدث بين المسلمين هي الفتنه الكبرى التي وقعت عند قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه , وما تبع ذلك من خلاف وشقاق وتنازع بين أبناء الأمة أدى إلى تحويل الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض , وما حدث بعد ذلك من انشقاق المسلمين إلى فرق فقد نجحت القوى الحاقدة على الإسلام، المتسللة في صفوف المسلمين، في شق المسلمين وصدعهم، فظهرت (الفرق) وعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى داخلهم في صراعات دامية كما ظهرت فرق أخرى كالمرجئة والجهمية والمعتزلة وغيرها أقلقت بال المسلمين وشغلتهم.

- فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلاف فأدت إلى الصدع بين الزعامات وجاء القرن الرابع الهجري فكان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء: الخليفة العباسي الشرعي في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر، والخليفة الأموي في الأندلس، وهذا أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين بالخليفة، ثم هانت عليهم الخلافة، وطمع العدو الخارجي في العالم الإسلامي.

- ترتب على نزاع المسلمين وفشلهم توقف الفتح الإسلامي وتقسيم الأندلس إلى دويلات ثم إزالة دوله المسلمين من الأندلس إلى الأبد .

- نزاع المسلمين وانشقاقهم أدى إلى سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات واحتلال المستعمرون للمسلمين.

- كما ضاعت فلسطين من المسلمين، واضطهدوا في الهند والصين وأفغانستان واندونيسيا وفي أوروبا الشرقية والدول التي احتلها الاتحاد السوفيتي وأفريقيا وقسم الاستعمار المسلمين إلى دويلات متنازعة فاشلة.

- نجح الاستعمار الأوروبي في تفتيت وحدة الدول العربية الإسلامية إلى دول ودويلات متنازعة غالبا على الحدود الاستعمارية مما أدى إلى فشل المسلمين في الدول العربية وتناحرهم وهذا لا يخفى على أي منا .

- وما يحدث الآن من فتن طائفية وقتل وتدمير في العراق ولبنان والصومال والسودان والجزائر وأفغانستان أنموذج لنتائج التنازع والفشل .